دور اللغة العربية في الحفاظ على الحضارة والهوية العربية في القارة الإفريقية.

إعداد

الدكتور: عبد القادر أبكر آدم

أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك فيصل وعميد كلية الشارقة للعلوم التربوية

إصدار ابريل لسنة 2023م

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

خطة البحث:

الخطة تشمل: المقدمة، ومبحثان، والخاتمة.

الموضوع: دور اللغة العربية في الحفاظ على الحضارة والهوية العربية في القارة الإفريقية.

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة.

- **المقدمة: تتناول القارة الإفريقية بإيجاز.**
- **المبحث الأول: دور اللغة العربية في عالم اللغات.**
- **المبحث الثاني: دور اللغة العربية في الحفاظ على الحضارة والهوية في القارة الإفريقية.**
- **الخاتمة: أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، والتوصيات.**

ملخص البحث:

إن هذه الورقة تناولت موضوعا ذا أهمية بالغة، وهي:

دور اللغة العربية في الحفاظ على الحضارة والهوية العربية في القارة الإفريقية، إن اللغة العربية لغة سامية حملت الحضارة بعد الطوفان إلى اليوم وتحمل أفضل حضارة إنسانية إلى الأبد، ولما أنها اللغة العلمية الأولى في الدنيا، اعتبارا أن اللغة تحمل القدرات العقلية لمتكلميها، واللغة العربية تحمل المعاني القرآنية التي جاءت من رب العرش العظيم، وهو بكل شيء عليم، فالعلم بالوصف الدقيق تحمله اللغة العربية، فبقية اللغات تكسب العلم بالخبرات والتجارب النسبية فقط.

إن القارة الإفريقية اليوم 54 وحدة سياسية في، 30,5 مليون كلم، هويتها تاريخيا، الهوية العربية، لم يكتشف إفريقيا ولم يسكنها من الشعوب الذين انتشروا في الأرض وهاجرت إليها إلا الشعوب العربية بعد انهيار سد مأرب الذي بناه لقمان بن عاد الأكبر عن طريق المواني في القرن الإفريقي، وعن طريق فلسطين في قديم الزمن قبل الآف السنين، وليس للافريقية غير اللغة العربية وثقافتها عامل يربط الشعوب جميعا إلا اللغة العربية وثقافتها.

دور اللغة العربية في الافريقية وهي اللغة الأصلية للشعوب الإفريقية، وهي هويتها التاريخية، وفيها عدد كبير من اللغات في مكونات المجتمع الافريقي، وجميعهم ينتمون إلى اللغة العربية وبالحروف العربية فقط كتبت الكثير من اللغات الإفريقية، واللغة العربية هي لغة الإدارة الرسمية في جميع الممالك الإفريقية منذ أن وجدت الشعوب الإفريقية في هذه الجغرافيا، حتى ظهور طلائع الأوروبيين في القرن السادس عشر، ثم الاستعمار الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين.

على الباحثين الأفارقة والعالم الإسلامي والشرق القيام بالأبحاث العلمية في شتى المجالات، والعمل على تعزيز التعاون الفكري والثقافي لاستغلال الخيرات من الطاقة البشرية والثروات الطبيعية والمعدنية التي تملكها إفريقية والعالم الإسلامي والشرق، لتتبلور نحو توحيد رؤية مشتركة لتحقيق مصلحة جميع هؤلاء الشعوب.

يهدف هذا البحث لإبراز دور اللغة العربية العلمية من بين اللغات العالمية، وأنها هي اللغة الأصلية للشعوب الإفريقية، وهي هويتها التاريخية وتبقى لغتها إلى الأبد، وتهدف هذه الدراسة إلى دعوة الشعوب الإفريقية والعربية للتعاون لاستغلال الثروات الطبيعية والمعدنية التي تملكها إفريقيا والعالم العربي لمصلحتها والإنسان.

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التاريخي والتحليلي للتعرف على الحقائق التاريخية لإثبات الهوية العربية للشعوب الإفريقية، وخلصت الدراسة بالنتائج والتوصيات.

المقدمة:

القارة الإفريقية: عرف هذا الاسم (القارة) وهي من المصطلحات السياسية التي ظهرت مع قيام الدول والجمهوريات في القرنين التاسعة عشرة والعشرين، فقسمت الكرة الأرضية إلى قارات: القارة الآسيوية، والقارة الإفريقية، والقارة الأوربية، والقارة الأمريكية، والقارة الأسترالية، فأصبحت الكرة الأرضية اليوم مقسمة برا وبحرا وجوا، والآن السباق نحو السماء لتقسيمها كما كان على الأرض إن أمكن ذلك.

إن القارة الإفريقية مساحتها حوالي 30 مليون كيلو متر مربع، وهي المنطقة التي غالبية سكانها من ذوي البشرة السمراء، تبدأ من مدينة زنجبار جنوباً، وهي تقع جنوب شرق الساحل الإفريقي غرب البحر الأحمر وتنحني قوساً إلى شمال المغرب العربي مطلةَ على البحر الأبيض المتوسط حتى سينغال غرباً، تقع على المحيط الأطلسي شرقاً ثم تخلق جنوباً إلى الإفريقية الجنوبية وفيها 54 وحدة سياسية.

تعد القارة الإفريقية منطقة غنية في العالم بثرواتها ومواردها الطبيعية والمعدنية من كثرة المياه السطحية والجوفية والأمطار الموسمية، وغاباتها الاستوائية، وحيواناتها البرية والبحرية والطيور وتعدد أنواع النباتات، وكذلك المعادن بجميع أنواعها من الصخور الكريمة والحديد واليورانيوم والبترول وغيرها من الخيرات، وهي تعتبر أكبر قارة بعد آسيا وتمتاز بالجو المعتدل والمناخ المتوازي بين السخونة والبرودة، ومع هذا وهي أفقر (قارة) في العالم من القارات الخمس رغم وجود هذه الثروات الطبيعية والمعدنية الهائلة، إلا أنها لم تستغل بعد، والسبب في ذلك عدم استقرار سياسي مقصود من قبل المستعمر، والآن قد انكشف، فعلى كل ابن افريقي التحلي بالشجاعة وبكل قوة على تعزيز التعاون الأخوي الإنساني لخلق الاستقرار السياسي والتماسك الاجتماعي والتطور الاقتصادي والثقافي والتقدم العلمي منطلقاً من هويته الإفريقية وحضارته الإنسانية المبنية على القيم والأخلاق العربية الإسلامية.

إن القارة الإفريقية الآن في أشد الحاجة إلى تقارب الباحثين ورجال الفكر من أبنائها ليتعارفوا ويتعرَّفوا على التحديات التي تواجهها، ليكونوا ملزمين بالتعاون على توحيد الرؤية لتوجيه الإنسان الإفريقي نحو الفكرة الصحيحة، في مجريات الأمور الجارية ليكون قادراً على استيعاب الواقع والتعامل معه بيقظة التي تضمن له وجوده وتجعله شريكا مع العالم السريع المتغير نداً بند، فالإنسان الإفريقي اليوم مهيئ للنقلة النوعية، فالانتقال النوعي عمل من أعمال رجال الفكر والباحثين، هم الذين لهم القدرة لتحويل أي ظاهرة غير مقبولة إلى فرصة تستثمر لمصلحة الإنسان، وإفريقية مترشحة للقيادة الاقتصادية في العالم بدون شك، وعليه أن نعمل لأجل تحقيق ذلك فإنه ممكن، انطلاقاً من معرفتنا بما نملكه من الثروات، ووجود الموارد البشرية من الإنسان الإفريقي المغلوب على أمره بمكر ماكر رَحَلَ، وترك بص ماته للإنسان الإفريقي يعمل بها بسبب بساطة فهمها، فالآن فهم سينتهي الأمر بإذن الله.

من ناحية أخرى، الآن ينبغي للباحثين الذين ينتسبون إلى الحضارة الإسلامية التقارب أمر أصبح الآن واجب، نظراً لما تدور في الساحة الدولية في هذا الوقت، من التدهور السياسي في منظومة المجتمع الدولي، الأمر الآن يريد مساهمات فكرية من رجال الفكر والباحثين وأساتذة الجامعات والعلماء تترجم إلى واقع الحياة الجارية تتبلور في صياغة الرؤية التي تكون صالحة للبقاء والاستمرار مع الشعوب، اعتقد المترشح الآن الحضارة الإسلامية لتحل مشكلات الإنسان المعاصر، وقد فشل النموذج الذي قدمه المجتمع الدولي، وهي فكرة غير صحيحة إنما بنيت بذكاء، ولما كبرت انكشفت الآن أصبحت عجوز، ولم تعد مرغوباً فيها من أصحابها، فرجعوا إلى القوة فوجدوا أنفسهم عاجزون، وأيقنوا أنهم خسروا فيتخبطون أكثر مما مضى، فعلى الباحثين ورجال الفكر من الذين ينتسبون إلى الحضارة الإسلامية التخلق بالشجاعة لإنقاذ الإنسان المعاصر الذي قد انغرق في طغيان حب المادة فوصل إلى طريق مسدود.

المبحث الأول: دور اللغة العربية:

للغة دور يكمن في أنها وعاء للمعنى، وهي الرسالة التي تحملها اللغة من المرسل إلى المستقبل وهو الذي المطلوب منه أن يستجيب المرسل، فاللغة أداة للاتصال وبيان عن الانسان لغيره، جاء في لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور: واللغة اللَّسْنُ وحدُّها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فعلة من لغوت أي تكملت أصلها لُغوة، ككرة، وقلة وثبة كلها لاماتها واوات [1]. (لسان العرب/ 630-711، ج12/ ص330).

في المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي قال أبو الفتح ابن جنّى في الخصائص: حدّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وقالوا فيها لغات ولُغون، وقيل منها لغى يلغى إذ هذى، وقال إمام الحرمين: اللغة من لغى يلغى من باب رضى إذا لهج بالكلام وقيل من لغى يلغى.

وقال ابن الحاجب في مختصره: حد اللغة كل لفظٍ وضع لمعنى وقال الأسنوي في شرح منهاج الأصول: اللغات: عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعاني.

قال أبو الحسن أحمد بن فارس: أعلم أن اللغة العربية توقيفية، ليس شيء منها مصطلحا عليه لذلك أجمع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتقنون عليه ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحاً لم يصح الاحتجاج بلغة القوم، ولا بأشعارهم، فاللغة فيها أسماء، وأفعال وحروف [2]. (السيوطي/ المزهر/911/ ج1/ص10-14)

ولم يأت في القرآن الكريم لفظ (اللغة) وإنما جاء في القرآن: اللسان، ﴿ٱلثَّأْ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إبراهيم: ٤.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ، أي بلغتهم ليبينوا لهم، ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة، فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية، لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ترجمة يفهمها لزمته الحجة [3]. (أحمد/ القرطبي 276هـ / ج10/ ص285).

اللغة العربية قيل إنها من اللغة السامية، وهي من اللغات القديمة لغة عاد وثمود، إن قوم عاد وهم: إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد، وهم من ذرية نوح عليه السلام بعد الطوفان، وإذا كانت اللغة العربية لغة عاد وثمود معنى هذا وهي أقدم لغة وجوداً في التاريخ البشرية، واللغة العربية بانتسابها إلى عاد وثمود وهما من المهد السامية الأولى، وهي الأمة المنسوبة إلى السام بن نوح عليه السلام، إذا كانت اللغة العربية وعاء لأحاسيس تلك الأمم القديمة التي ترجع أصول البشرية إليها، وهي لغة تعتبر أصل اللغات الإنسانية المنتشرة في الأرض، ولها دور أساسي في حفظ التراث الإنساني ونقله من جيل إلى جيل وتمتاز بالثراء اللغوي، والفصاحة وقوة البلاغة في ألفاظها المتناسقة في رسم المعاني وترتيب الحروف التي تتبلور في قوة البيان والوضوح في الكلام، وهو سر بقاء اللغة العربية مع الشعوب في هذا التاريخ الطويل، وتطورها في اللمسات اللغوية لنقل المشاعر والأحاسيس في المناسبات الرسمية بالخطاب والقصائد الشعرية في النظم والنثر وفي أيام الشعوب العادية جيلاً بعد جيل في الجزيرة العربية من جنوبها وشمالها حتى وصلت إلى مهلهل بن ربيعة الذي قيل هو أول من سجل منه القصيدة العربية في الجاهلية قبل 200 سنة للهجرة، اللغة العربية: لغة سامية واللغة السامية أو اللغات السامية منسوبة إلى سام بن نوح، وهو واحد من أولاد نوح الثلاث، هام وسام ويافث، والبشرية تنتسب إلى سام وهام أبنا نوح ويأجوج ومأجوج ينتسبون إلى يافث.

واللغة العربية بنسبتها إلى سام بن نوح، وهي اللغة الأقدم وجوداً، والأطول عمراً، مع الشعوب، ولها دور عظيم في الحضارات التي عاشت فيها الشعوب، كما سمع كثيرا من الأدباء والمؤرخين أن اللغة العربية لغة عاد وثمود، فعاد وثمود هما من الشعوب الأولى التي سكنت الأرض وعَمَّرتها بالمنشآت المدنية، كما جاء ذكرهما في القرآن الكريم بعد الطوفان، واللغة العربية تحمل الحضارات الأولى من الأمم التي لها بقاء طويلاً في الأرض من العمر لجيل واحد، وانتشرت مع انتشار البشر في الأرض بحثا عن الرغبات لإشباع الأغراض والحاجات من الممتلكات وبسط السيطرة والحكم لتحقيق غايات الإنسان التي تكمن في سعادته.

واللغة العربية تمتاز بسهولتها وفصاحتها وقوة بيان معانيها على بقية اللغات الأخرى، ولا تجد في اللغة العربية إشكالات وتعقيدات في الفاظها من الجمل والحروف، ولها قواعد قادرة على استيعاب كلمات أخرى من غير اللغة العربية، وصياغتها إلى العربية بحيث تنصهر الكلمة في الجملة العربية، كأنها كلمة عربية صرفا، وكانت العربية سر وجودها وبقاءها وعاء لحضارات الأمم والشعوب في العالم حتى هذه اللحظة وهي اللغة التي تنتشر بنفسها بدون دعم لها من صناعة بني آدم السياسية والاقتصادية، رغم الكثير من الشعوب بأسباب سياسية وعنصرية تكره اللغة العربية ولكنها: أي الشعوب تستخدم كثيراً من المفردات باللغة العربية كما هو الحال في أروبا بعنصريتهم البشعة تجاه اللغة العربية وعداوتهم ومحاربتهم لها في الشعوب العربية نفسها، فإذا بلغة العربية بروزا في عقر دارهم في مؤسساتهم الإعلامية وفي جامعاتهم الأكاديمية وغيرها من المؤسسات الاقتصادية والتجارية والثقافية وحياتهم الاجتماعية العادية والرسمية، ولم تجد اللغة العربية دعماً سياسياً واقتصادياً وثقافياً من أصحابها على مستوى الشعبي والرسمي بينما اللغات الأخرى كالإنجليزية والاسبانية والفرنسية لها الدعم السياسي والاقتصادي والثقافي والعلمي ليس له مثيل. فدور اللغة العربية في سر بناء كلماتها التي تبدأ بترتيب الحروف في بناء الكلمة ثم ترتيب الألفاظ في الجملة وفق ترتيب المعاني في الذهن، فتبلور الأداء، فجمعت السهولة مع الفصاحة فكانت اللغة العربية أحلى اللغات تحدثا، وأجمل اللغات فصاحة وبيانا، ولها أداة قياسية صرفية لاستيعاب اللغات الأخرى بصيغة عربية في قالب حروفها العربية فأكسبها قوة مادية، ولها من القدرة في اصطياد الكلمات الأخرى غير العربية وتحويلها إلى صيغة عربية حتى تنصهر وتذوب في اللغة العربية حيث لا يعرف أنها من غير العربية إلا من هو متقن اللغة العربية يستطيع أن يدرك ذلك، ومن جانب آخر أن اللغة العربية لغة مدنية من حيث مادتها من خلال ألفاظها البنائية، وقوة معانيها الخيالية، وجزالة تعبيرها في قوة الألفاظ وعمق المعاني، كما جاء في القرآن الكريم ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣.

إن اللغة العربية لها دور عظيم في حفظ حضارات الأمم والشعوب وفي قوة الألفاظ وعمق المعاني مما يحتاج الوقوف عليها في التحليل والإدراك في عمق

المعنى للوصول إلى أغراض ثمينة لم تعرف في الحياة بعد، والذي يتعامل مع اللغة العربية بالبحث والتنقيب في الألفاظ يصل إلى كشف ما لم يكتشف ولم يصل إليها أحد، فيجب شد الرحال إلى فهم جديد للغة العربية لأن دورها العلمي والثقافي مالم يصل إليه البشر.

فإن دراسة فقه اللغة وأصولها وقواعد اللغة العربية النحوية والصرفية والبلاغية فإن هذه تعتبر أقوى وسيلة لفهم اللغة العربية فهماً قوياً لما تحملها هذه اللغة لتفيد الإنسان نفسه في ذاته وفهم دوره في محيطه ومع غيره، وإدراك أسرار جمال الحياة التي لا تلحقه الشيخوخة وهي مادة أساسية لحدة الذهن لكل من تعمق في فهم اللغة العربية، واتقان قواعدها النحوية والصرفية والبلاغية، وتؤدي إلى قوة العقل، يقال قوة الإنسان في عقله، وهيبته في أخلاقه ونجاحه في صدق النية وقوة الإرادة، ومن ناحية أخرى أن اللغة العربية وعاء للعلم، لغة تحمل رسالة العلم للإنسان مثل اللغة العربية غير موجودة على الاطلاق، فجعل اللغة الإنجليزية وهي اللغة العلمية، إنها تواطأ مجموعة من الناس، استغلوا الفراغ الفكري الموجود فقط نتيجة لعدم وجود الباحثين المقتدرين من علماء المسلمين لاستقاء الابتكارات العلمية في القرآن الكريم.

ٱلۡأَنۡعَامَ خَلَقَهَا لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَافِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ (5) وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ (6) وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُوا بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ (7) وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (8) النحل: ٥ - ٨.

فذكر الأنعام وما خلق من أجلها مما يستفيد منها الإنسان من المنافع الحسية والمعنوية، وذكر: أنه يخلق ما لا تعلمون، ومقتضى اللغة في الآية وعد من الله بتجدد ما يخلق لمنافع الناس المعنوية والمادية متجدداً باستمرار في مادة (يخلق) بمعنى في طول الحياة (يخلق مالا تعلمون)، مما تركبوها وزينة ولكم فيها منافع المادية والمعنوية باستمرار، وفيها إيحاء إلى ما تتجدد من الآلات المصنوعة من وسائل النقل وغيرها في سرعة الحركة مما توفر الراحة والزينة كما هي الحال اليوم، وفيها من الإشارة إلى تناغم نسيج الكلمات تتلمس فيها جودة بناء الجمل محكمة من شدة امتشاج المعنى بالألفاظ المتجانسة حروفاً في سياق الفكرة بأسلوب راقية في منتهى الدقة في قوة ربط الإنسان بخالقه والتعامل مع ما يعيش فيه من

حوله من آثار النعمة الظاهرة والباطنة المتجددة باستمرار، فتدفعه هذه النعم إلى القراءة في القرآن الكوني الذي وهو واحد فيه من الكائنات التي وجدت ليتعلم الناس فيها ما لا يعلمونه، وهو أسلوب عقلي خيالي أكثر مدني من غيره من الأساليب في لغة غير اللغة العربية.

ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ يس: ٨٠، إن الشجرة الخضراء، إنها حطب فيها نار وماء، إن النار تأكل الحطب والماء يطفئ النار، غير ممكن العيش معاً هذه الثلاثة، ولكنها تم ذلك من غير أن تأكل النار الحطب ويطفئ الماء النار، وهناك سر يحتاج البحث عنه ومعرفة التجانس الطبيعي فيه بين هذه الثلاثة، فعرض الآية في أسلوبها الأدبي إشارة إلى شد الرحال للبحث عن القانون الذي جعل الجمع بين النار مع الماء والحطب مع النار من غير أن يطفئ الماء النار وتأكل النار الحطب، هناك قانون جعل الأمر ممكنا في جمع المضادات التجانسية مع بعضها، وهذا هو العلم ولم تجد لغة ما من اللغات الحية التي يتكلمها الناس من اللغات الكبرى في العالم سياسيا واقتصاديا، كلغة الإنجليزية والروسية وغيرها كالصينية، مما اطلق عليها أصحابها هي اللغات التي تحمل المصطلحات العلمية، التي يرجع إليها الباحثون في العلوم الطبيعية وما أطلق عليها المباحث العلمية، وفي الحقيقة ليس لها هذه الصفة وإنما لها ميزة حق السبق في تقعيد القواعد والمصطلحات العلمية بها، وإنما هي مجرد لغة تحمل المعاني التي في قدرات متحدثيها، المدنية فقط، وليس لها قدرة إحاطة علم في عمق المعاني الحقيقية، وإنما اللغة التي حظيت بعمق المعاني العلمية ولم يَقُوم متحدثوها بإيفائها من فهم حقيقية بما تحمل ألفاظها من المعاني وهي اللغة العربية، فما تحملها الآية القرآنية المحكمة من المعاني وهي التي استفادت منها اللغات الأخرى في بحث تلك المعاني بإجراء البحث العلمي للوصول إلى مالم يكن معروفاً للناس، مستفيدا من قوله تعالى: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْالعلق: ٥، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا النساء: ١١٣الآية الأولى 5 من سورة العلق، والثانية من سورة النساء الآية 113، إن اللغة العربية هي لغة علم حقيقي ولم تدانيها أية لغة كانت وإن كل لغة تحمل ما تحمل من المعاني على حسب القدرات العقلية

من العلم والمعرفة من المتحدثين بها، ومما رفع دور اللغة العربية أعظم من كل لغة لأنها لغة القرآن الكريم كلام الله الذي بكل شيء عليم، فدور اللغة العربية وهي لغة العلم والمعرفة على الاطلاق من غير منازع ولا منافس.

ﭐﱠﱡ **وقيل يأرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمينَّ** هود: ٤٤، وهذه كما ترى قوة الألفاظ من شدة الجزالة في الإيقاعات في بنية الكلمات المختارة لحمل المعاني وترتيبها بمستوى أعلى من قوة عمق المعاني وترابط الكلمات والجمل في هذا السياق اللغوي العظيم، وتحمل فكرة دقيقة تجمع بين متكونات من العلوية والسفلية وما بينهما في لحظة واحدة بصورة واقعية وليس من الخيال، في تعاطي الاحتكاك بين الطرفين من الأمر المترتب عليه الاستجابة الفعلية بين الآمر والمأمور، وبالصورة التي يراها قدر المخَاطَب من الهجم الكبير، فجمعت اللغة العربية في سياقها اللغوي من الألفاظ الجزلة بترتيب متين بين الحروف في الكلمة وبين الكلمات في الجملة وبعمق في قوة المعنى من الفكرة الصحيحة، لما أنها من العليم الحكيم.

المبحث الثاني: دور اللغة العربية في الحفاظ على الحضارة والهوية في القارة الإفريقية:

إن دور اللغة العربية في الحفاظ على الحضارة والهوية في إفريقيا فهو أمر مؤكد وله شواهد وآثار تدل على ذلك كثيرة، فمن المؤكد أن علاقة الشعوب الأخرى مع المجتمع الإفريقي بالقارة الإفريقية، الشعوب العربية لهم أقدم علاقة مع الأمة الإفريقية عن طريق الهجرات العربية في منطقة الساحل الشرقي الإفريقي، هناك عدة موانئ ينزلون بها كثير من القبائل العربية باليمن لأغراض متعددة اقتصادية تجارية أو للتوطن بهذه الجغرافيا الغنية بالثروات الطبيعية وغيرها من المعدنية، ولا سيما بعد انهيار سد مأرب **فقال تعالى لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ(15)فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ(16)**سبأ:١٥- ١٦، هذه صورة جزيرة العرب من الجنوب والشمال منطقة مليئة بالغابات من الأشجار المثمرة، وخالية من الحيوانات الجائرة المفترسة والهوام المؤذية مثل الثعابين والعقارب وجوها لطيف طيب وملفوف ببركة

من الله، فالحياة فيها العيش الرغد، وسكان الجزيرة مغمورين بالسعادة، ولكنهم كفروا بنعمة الله، فانهار سد مأرب الذي يرجع بناءه إلى مآت أو الآلاف السنين فقد جاء في تفسير روح المعاني، وقيل الذي بنى لهم السد هو لقمان الأكبر بن عاد ورصف أحجاره بالرصاص والحديد وكان فرسخا في فرسخ ولم يزالوا في أرغد عيش وأخصب أرض حتى أن المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيمتلئ المكتل مما يتساقط من الثمار من أشجار بساتينهم إلى أن أعرضوا عن الشكر، فسلط الله تعالى على سدهم الخلد فوالد فيه، فخرقه فأرسل سبحانه سيلا عظيماً فحمل السد فذهب بالجنان وكثير من الناس، وقيل غير ذلك.

فقال تعالى **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ** سبأ: ١٨، وكان بين سبأ وبين القرى التي بورك فيها، وهي قرى الشام وقيل بيت المقدس وذكر مجاهد هي السراوية، وهي دليل قاطع على أن الجزيرة العربية كانت مليئة بالبساتين المثمرة من جنوب الجزيرة من مدينة سبأ إلى شمال الجزيرة بأرض الشام وكان السفر فيها لا صعوبة حيث معمرة بالقرى المسكونة من الجنوب إلى الشمال، إذا خرجت من قرية ترى قرية أمامك لا خوف من شيء في سفر المسافر حتى يصل إلى الشمال وكذلك من الشمال حتى يصل إلى الجنوب إلى أن كفروا بهذه النعمة **فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** سبأ: ١٩ [4].(البغدادي/ روح المعاني ج11/ ص163).

فأكثر هجرات العرب إلى افريقية في أكثر من ميناء المطل على الساحل الشرقي الافريقي ابتداء من باب المندب إلى زنجبار جنوباً ما يزيد على سبعة موانئ لما في جغرافية إفريقيا مليئة بالغابات من الأشجار كما كانت الجزيرة العربية، فانتقل كثير من القبائل العربية باليمن إلى إفريقيا وتوغلوا في غابات إفريقيا حتى إلى جنوب غرب إفريقيا ووسطها، وكذلك القبائل العربية الشمالية من القبائل الشامية نزلوا من شمال الجزيرة عبر فلسطين وسيناء على الشاطئ البحر الأبيض المتوسط من منطقة الإسكندرية إلى جبال فاس حتى المحيط الأطلسي بالسينغال غرباً.

وتشكلت سكان إفريقيا بخليط من القبائل العربية التي كانت تسكن الجزيرة العربية، وهذه الرحلات تواترت أخبارها لدى المؤرخين تتكون قوة من الدليل القوي الذي لا يمكن رده، والسبب الذي دفع العرب بجميع قبائلها للقيام بهذه الهجرات، هو انهيار سد مأرب الذي عجز سكان الجزيرة عن القيام بوقفه أصبح الأمر فوق طاقة البشر وتدبيره.

الأمر الثاني: صعوبة سبل العيش، فقد تحولت الجزيرة إلى صحراء ومن العوامل التي شجعت الهجرات إلى إفريقيا: إن القارة الإفريقية لم ينتشر فيها البشر، ولم تكتشف بعد، وفيها من الغابات والانهار والبحيرات التي تتشكل بجميعها أساس الحياة ليثبت استقرار العيش، فاللغة العربية توطنت القارة الإفريقية منذ زمن بعيد قبل الإسلام، وكان العرب قديماً في الجزيرة العربية يعتمدون على التجارة في عيشهم وكانوا أصحاب حضارة وعمارة كما جاء في القرآن الكريم يحكي عن قوم ثمود، ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ الفجر: ٩، إن ثمود وهم قوم صالح لغتهم العربية، جابوا الصخر بالواد، خرقوا الصخور ودخلوها فاتخذوها بيوتاً كما ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ الحجر: ٨٢، والعرب تقول: جاب فلان الفلاة يجوبها جوباً: إذا دخلها وقطعها ومنه قول نابغة بن جعدة:

أتاك أبو ليلى يجوب به الدجى * دجى الليل جوّاب الفلاة عثمثم

هو الجمل القوي الشديد، وبغل عثمثم قوي والعثمثم: الأسد [5].

إن القارة الإفريقية رغم وجود الكثير من اللغات بالمئات بل الآلاف في إفريقية شرقا وغربا وشمالا ووسطا من اللغات الافريقية الأصلية مع هذا ترى أن الأفارقة يحبون اللغة العربية حباً ذاتياً، بالقناعة والرضى بأنها لغة عربية لغته، فالشخص الافريقي يفضل اللغة العربية على لغاته الإفريقية واللغات الأخرى الأوربية من الإنجليزية والفرنسية والاسبانية والروسية وغيرها رغم الدعم السياسي والثقافي القوي للغة الإنجليزية واللغات الأخرى الأوربية، وإنهم ربطوا لغاتهم بالعلوم الحديثة والتكنلوجية العلمية التي أصبحت كل يوم تأتي بجديد، الغرض من هذه السياسات الأوربية إقصاء بعض اللغات نهائياً وخاصة اللغة العربية، ولم تنجح أي محاربة بمثل

هذا نحو اللغة العربية حتى أنهم استطاعوا اقناع الكثير من العرب ممن ثقَّفَ بثقافة الغرب يتشدق بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية، ويقلل من شأن اللغة العربية لأنها لغة الدين وليست لغة علمية، فهذا النموذج يرى الأوربيون من خلاله نجاح سياساتهم وخططهم لتهميش اللغة العربية وتقليل شأنها من العرب أنفسهم، وإذا بغير العرب من الأمم والشعوب يحبون اللغة العربية من زاوية أنها لغة الدين الإسلامي وتحمس كثيرون من الأمم والشعوب من هذا الباب، وهناك كثيرون من العرب ليسوا بمسلمين ولغتهم العربية وكثير من غير العرب في كل قارات العالم يتعلمون العربية اختياراً حراً، والنخبة من الأوربيين والصينيين واليابانيين يتعلمون العربية باعتبارها لغة علم بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، ومثل هذا الفهم لم يكن لدى كثير من الناس وأما الأفارقة كلهم يرون اللغة العربية تحمل هويتهم، وإن أنكر ذلك من تأثر باللغات الأجنبية والديانة المسيحية، ولكن مجيء الديانة المسيحية واللغات الأوربية الأجنبية تحت ظل الاستعمار الذي عاث في الأرض الفساد بأبشع طرق وأروع ألوان الهول في القارة الافريقية، فعلاقة الشخص الإفريقي بالديانة المسيحية في تصدع كل يوم في القارة الإفريقية، فكثير من المتحمسين للمسيحية في إفريقيا بردوا في مواقفهم وجعلوا ينظرون إلى الديانة المسيحية ديانة المستعمرين الانتهازيين وليس كدين الإسلام، واللغة العربية لها وجود في إفريقية قبل الإسلام وكثير من العرب أنفسهم أصبحوا أفارقة قبل الإسلام، ولهم ذرية، كثيرون ذوو أصول عربية وانتشروا في القارة الافريقية فلم تخلو رقعة جغرافية في إفريقيا إلا من سكانها من هم من أصول عربية يصعب تمييزه من غيره من الأفارقة، فأصبحت هوية العرب هوية الإنسان الإفريقي واللغة العربية لغته، ولذلك فقد لعبت اللغة العربية دوراً هاماً للحفاظ على الحضارة والهوية في إفريقية، معنى هذا إن اللغة العربية لغة حملت كثيراً من ثقافات الأمم والشعوب منذ قديم الزمن ابتداءً من جد الأمم والشعوب سام بن نوح بعد الطوفان، وتحمل كثيراً من الحضارات من قوم عاد وثمود وقوم تبع، وأصحاب الرس وأصحاب الأيكة ومن بعدهم من الشعوب في القرون الماضية، ونقلت اللغة العربية تلك الحضارات من الأمم والشعوب في هوية العرب القديمة إلى اليوم، والقارة الإفريقية عربية حضارة وهوية، وليس لإفريقية غير هويتها الإفريقية إلا الهوية العربية لما أن العرب أنفسهم دخلوا إفريقية وسكنوها قبل ثلاثة الآف سنة، ولم يكن دخول الأمم

والشعوب غير العرب في إفريقية إلا الأوربيون في القرن السادس عشر الميلادي، كطلائع استطلاعية وكثير منهم لم يتمكن من الرجوع إلى أوربا حتى في أواسط القرن الثامن عشر إلى القرن التاسع عشر فزادت رحلات الأوربيين إلى افريقية وغيرها بقية القارات الأخرى كشرق الأوسط والقارة الهندية والآسيوية لدواعي السيطرة وقهر الشعوب واستعمارهم، فكانت إفريقية من القارات التي وقعت ضحية تحت استعمار الاوربيين، فهم خططوا لتغيير هوية هذه الشعوب، ولكن الآن تأكدوا هذه الفكرة خاطئة فأصبحت عجوزة مكروهة النظر إليها، فالآن يسعى الأوربيون لتحسين وجوههم مع الشعوب الأفارقة والعرب وغيرهم ممن كانت معها علاقات سيئة من الأمم الأوربية.

من خلال هذا السياق أن اللغة العربية لعبت دوراً عظيماً للحفاظ على الحضارة والهوية في إفريقية، فأصبح الآن حتماً إن القارة الإفريقية هويتها عربية.

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذا البحث.

1 – إن القارة الإفريقية أغنى القارات في العالم من حيث الثروات الطبيعية والمعدنية، وكثرة الأنهار والمياه الجوفية والأمطار الموسمية، وخصوبة الأرض وكثافة الغابات إلى غير ذلك، وهي القارة المترشحة في قيادة العالم اقتصادياً في المستقبل المنظور لما تملكها إفريقية من جغرافية تضم أغنى كنوز الأرض.

2– دور اللغة العربية: من النتائج التي وصلت إليها الدراسة، أن للغة العربية أعظم دور لم يتم اكتشافه والتعرف عليه بعد، إنها لغة تحمل العلم ولا تدانيها أية لغة من لغات العالم اطلاقاً، فالقول بأن اللغة الإنجليزية لغة علم تعبير غير دقيق في المعنى وغير صحيح في الدلالة، إن الإنجليزية كان لها السبق بالمصطلحات العلمية فيما تم اكتشافها من خلال البحوث العلمية في العلوم الطبيعية في مجالات الكيمياء النووية والكيمياء العضوية في الطب وغيرها من العلوم الحديثة في التطور العلمي والتكنلوجي وليست اللغة الإنجليزية لغة علمية بمعنى أدق، إنما تحمله اللغة الإنجليزية وغيرها من جميع اللغات الأخرى إنما تحمل كل لغة من العلم نسبيا من غير الإحاطة في كل شيء، وإنما ما تم الوصول إليه من العلم والمعرفة فيما نراه الآن من التقدم العلمي والتكنولوجي وهو بالتجارب شيئا فشيئا حتى يتحقق اتقان بعض الجزئيات من الصناعات دون الإحاطة بها، كما أن الانسان استطاع أن يصنع السيارة وغيرها ولكنه يخاف منها مع أنه صنعها ولو كان يملك من العلم احاطةً بها لا يخاف منها لأنه صنعها لا يمكن أن يتوقع من السيارة شراً وهو لا يجد لها بصيرة لمنعها.

إن اللغة العربية لغة علم بالإطلاق، لأنها أصبحت وعاءً للقرآن الكريم فتحمل اللغة العربية من العلم ما لم تحمله أي لغة من لغات العالم، فألفاظ الآيات القرآنية باللغة العربية من العليم **الخبير** **لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** الجن: ٢٨، وبهذا دور اللغة العربية أعظم دور من جميع لغات العالم بتعبير أدق لا تشاركها واحدة من اللغات.

3 –إن سكان القارة الافريقية معظمها من أصول عربية وإن لم يكن كلها، والدليل على ذلك أكثر الهجرات من شعوب الأرض إليها هجرات الشعوب من القبائل العربية من جنوب الجزيرة وشمالها من قديم الزمن وخصوصاً بعد انهيار سد مأرب فتمزقت الشعوب العربية وهاجرت إلى الإفريقية لأن بيئتها شبه بيئة الجزيرة العربية من كثرة الغابات والمياه الجارية من الأنهار، ولم تكن عامرة حين ذلك فسهل التوطن فيها.

4– إن اللغة العربية لعبت دوراً عظيماً في الحفاظ على الحضارة والهوية الإفريقية، فإن الانسان الافريقي أيا كان من شرق القارة وغربها ومن شمالها وجنوبها يلتقي في اختلاط اجتماعي بالأصول العربية الافريقية فغير ممكن فصل الانسان الافريقي بسلسلة أصول إفريقية مستقلة وكذلك بالعكس وإن وجد فيكون أقل من القليل فكانت اللغة العربية لغة الهوية والحضارة العربية الافريقية، وما كان تمارسه اللغات الاستعمارية المدعومة سياسياً ومادياً، من المحاربة الثقافية لإحلال الحضارة الغربية مكان الحضارة العربية لتغيير هوية الإنسان الافريقي لم تنجح، فأصبحت الآن على خجل من أمرها، فوجدت أصحابها أن هذه الممارسات دفعت الشعوب أن تتحمس للغة العربية وتزيد في حماستها بقوة في خدمتها كما هو الحال في الوقت على مستوى مساحة جغرافية إفريقية 30 مليون كلم^2.

التوصيات:

1- على الباحثين القيام بأبحاث علمية لأجل تعزيز التعاون الفكري بين الباحثين الأفارقة، وبينهم وبين الباحثين في العالم العربي والإسلامي.

2- على الباحثين شد الرحال إلى توحيد جهود الأفارقة بجميع مجالاتها لاستغلال الخيرات من الثروات الطبيعية والمعدنية بجهود أبناء إفريقية بأنفسهم.

3- على الباحثين القيام بالبحوث العلمية والمعدنية لتأكيد أن اللغة العربية لغة علم بالمعنى الدقيق من غير منازع.

4- على الباحثين القيام بالبحوث العلمية لإجراء التجارب العلمية في عمق الآيات القرآنية التي تبين القواعد العلمية للوصول إلى قوانين علمية لتضيف الجديد من الاكتشافات في مسير التقدم العلمي والتكنلوجي.

5- على الباحثين شد الرحال إلى مقارعة الفكرة الجائرة الغير صحيحة في ازدواجية المعايير في النظام العالمي الذي أصبح عجوز غير مرغوب فيه بالفكرة الصحيحة في شجاعة وثبات الموقف حتى تصحيح المسار.

وأخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على النبي الكريم

المصادر والمراجع:

1- لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور 630 – 711، تحقيق، ياسر سليمان أبو شادي، مجدي فتحي السيد جـ 12، صـ330.

2- المزهر في علوم اللغة وأنواعها تأليف الامام جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911هـ ، جـ 1، صـ 10 – 14.

3- الجامع لأحكام القرآن الكريم تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي المتوفى 276هـ ، جـ 10، صـ285.

4- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الثناء شهاب الدين السيد/ محمود الألوسي البغدادي، جـ 11، صـ 163-665.

5- جامع البيان عن تأويل أي القرآن تفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، جـ11، صـ543.

6- ديوان نابغة الذبياني، ص32.

الفهرس

الموضوعات	الصفحة
خطة البحث:	1
ملخص البحث:	2
المقدمة:	3
المبحث الأول: دور اللغة العربية:	5
المبحث الثاني: دور اللغة العربية في الحفاظ على الحضارة والهوية في القارة الإفريقية:	10
الخاتمة:	15
التوصيات:	17
المصادر والمراجع:	17